

جبران خليل جبران

أهت الأرض السابق

مكتبة الثقافة

0201871



Bibliotheca Alexandrina

أَهْتَـالِـالْأَرْضِ



السَّابِقِ

تأليف

جُبران خليل جُبران

عربية

الارشمندريت انطونيوس بشير

دار الكتب والوثائق

بيروت - لبنان

وعندما حلت ليلة العصر الثاني عشر ،
وابتلع الصمت ، الذي هو مدُّ بحر الليل ، جميع التلال ،
ظهر الآلهة الثلاثة ، المولودون في الأرض ، وأسياد
الحياة ، على الجبال .

فتراكضت الأنهار إلى أقدامهم ،
وغمرت أمواج الضباب صدورهم ،
وارتفعت رؤوسهم بحلال فوق العالم .
ثم تكلموا فتموجت أصواتهم ، كالرعد البعيد فوق
السهول .

الاله الأول

ان الريح تهب شرقاً ،
فأريد أن أحوّل وجهي نحو الجنوب ،
لأن الريح تملأ مشامتي برائحة الأشياء الميتة .

الاله الثاني

هذه رائحة الأجسام المحترقة ، وهي لذينة وسخية ، وأنا
أود أن أتنشقها .

الاله الاول

هي رائحة الميتوتة المحترقة على لهيبها الضئيل .
وهي تملأ دقائق الهواء بوفرة ،
فتزعج حواسي كما يزعجها الهواء الفاسد في الهاوية .
ولذلك أريد أن أحول وجهي الى الشمال الذي لا رائحة
فيه .

الاله الثاني

انها العبير الملتهب للحياة المثمرة ،
وهي ما أود أن أتشفقه الآن وفي كل أوان .
إنما تعيش الآلهة على التضحية ،
وتبرد غلة عطشها بالدم ،
وتسكن قلوبها بالنفوس الفتية ،
وتشدد عزائها بالتأوهات الدائمة التي تصعد لها أرواح
القاطنين في قلب الموت ،
وعروشها مبنية على رماد الأجيال .

الاله الاول

قد سئمت روحي كل ما هو كائن .
فأنا لن أمد يداً لأخلق عالماً ،
ولا لأحو عالماً من الوجود ،

انني ما كنت لأعيش لو أنني قادر أن أموت ،
لأن ثقل الأعصر كلها على كتفي .
ومدير البحر الذي لا ينقطع يستنفذ كنوز نوهي .
فيا ليت لي أن أخسر المطلب الأول ،
فأزول كالشمس الزائلة .
أود لو أستطيع أن أجرد ألوهيتي من غايتها
لأنفخ أنفاس ميوتي في الفضاء ،
فلا أكون فيما بعد .
يا ليت لي أن أحترق وامضي من ذاكرة الزمان ،
إلى فراغ الأزمان ؟

الاله الثالث

أصغيا يا أخوي ، أصغيا أيها الشقيقان القديمان .
فان شاباً في ذلك الوادي
ينشد مكنونات قلبه في أذن الليل .
ان قيثارته من الذهب والأبنوس ،
وصوته من الفضة والذهب .

الاله الثاني

انني لست مغروراً بهذا المقدار لأتمنى أن لا أكون . فأنا
لا أقدر أن أختار إلا أصعب الطرق ،

لأتبمع الفصول واعضد سؤلا السنين ،
 لأزرع البذور وأراقبها تنفذ الى قلب الأرض ،
 لأدعو الزهرة من نخبثها وأسلحها بقوة لتعضن حياتها ،
 ثم أعود فأقلعها عندما تضحك العاصفة في الغابة ، لأنهمض
 الانسان من الظلمة السريّة ،

ولكنني أحفظ لجذوره حنينها إلى الأرض ،
 لأغرس فيه العطش للحياة ، واجعل الموت حامل أقداحه ،
 لأعطيه المحبة النامية بالألم ، المتسامية بالشوق ، المتزايدة
 بالحنين ، والمضمحلة بالعناق الأول .

لأمنطق ليلاليه بأحلام الأيام العلوية ،
 وأسكب في أيامه رؤى الليالي المقدسة ،
 ثم أحكم على أيامه ولياليه بالمائلة التي لا تتغير ،
 لأجعل خياله كالنسر على الجبل ،
 وأفكاره كمواصف البحار ،
 ثم أعطيه بدءاً بطيئة في الحكم ،
 وقدماً ثقيلة في التأمل ،
 لأمنحه مسرة ليترنم أمامنا ،
 وكأبة ليلتنجىء إلينا .

ثم أجعله وضيعاً عندما تصرخ الأرض في مجاعتها طالبة
 طعاماً ،

لأرفع نفسه عالية فوق الجلد

ليصير قادراً على مذاقة غدنا ،
واحفظ جسده يتمرغ بالحمأة
لكي لا يتناسى ذكر أمسه ،
هكذا يليق بنا أن نحكم الانسان إلى منتهى الزمان ،
مقيدين النسمة التي تبدأ بصراخ أمه ،
وتنتهي بنواح أولاده .

الاله الأول

ان قلبي يحترق عطشاً ، بيد انني لا اريد ان اشرب دماً
ضعيفاً لجنس ضعيف ،
لان الكأس ملطخة ، والعصير الذي فيها مر المذاق في فمي .
وانا مثلك قد عجننت الطين وصنعت منه أشكالاً متنفسه
لم تلبث ان سقطت من بين اصابعي إلى الآجام والتلال .
وانا مثلك قد أنرت الأعماق المظلمة لبداة الحياة ،
وراقبتها تزحف من الكهوف إلى الأعالي الصخرية .
انا مثلك قد احضرت الربيع ووضعت جماله ،
ليكون غواية تقبض على الشباب وترغمه على الانتاج
والتكاثر .

انا مثلك قد سرت بالانسان من مزار الى مزار ،
وحولت مخاوفه الصباء من الغير المنظورات إلى إيمان
مضطرب بنا من غير ان يرانا او يعرفنا .

أنا مثلك قد جعلت العاصفة الهوجاء على رأسه ، لينحني أمامنا .

وزعزعت الأرض تحت قدميه حتى يصرخ اليّنا ،
ومثلك ، اثرت الاوقيانوس البربري فطغا على عش جزيرته ،
حتى مات في توسله اليّنا .
كل هذا فعلته ، واكثر منه .
وكل ما فعلته فارغ باطل .
باطلة هي اليقظة وفارغ هو النوم .
وثلاث مرات باطل وفارغ هو الحلم .

الاله الثالث

يا اخوي ، ان غابة الريحان تلك فتاة ترقص للفمر ،
وفي شعرها الف نجمة من الندى ،
وحول قدميها الف جناح .

الاله الثاني

اننا قد غرسنا الانسان ، كرمتنا .
وفلحنا الأرض في الضباب الأرجواني للفجر الأول .
وراقبنا الأغصان النجيلية نامية ،
وغذينا الأوراق الفتية على ممر الأيام والسنين التي لم تعرف
الفصول .

وحصنا البراعم ضد العناصر الفضوية ،
 وحرسنا الزهرة من اعتداء الأرواح المظلمة .
 والآن ، وقد أخرجت كرمتنا عنبها ،
 فأنتم لا تحملونه إلى المعصرة لتملأوا الأقداح .
 فأية أيدٍ أقدر من أيديكم ستجمع الثمر ؟
 وأي مطلب أنبل من عطشكم ينتظر الخمرة ؟
 فالإنسان طعام للآلهة .

ومجد الإنسان يبتدىء عندما تمتص شفاه الآلهة المقدسة
 نسمة الهائمة على غير هدى .

كل ما هو بشري لا قيمة له إذا ظل بشرياً ،
 إن طهارة الأطفال ، ووجد الشباب اللذيذ ،
 وهوى الرجولة العزومة ، وحكمة الشيخوخة الناضجة ،
 إن مجد الملوك ، ونصر المحاربين ،
 وشهوة الشعراء ، وشرف الحاكمين والقديسين ،

كل هذه وكل ما تحمله في ثناياها ، هو خبز الآلهة وهي لن
 تكون إلا خبزاً بغير بركة ، إذا لم ترفعها الآلهة إلى أفواهها .
 وكما أن حبة الحنطة الصماء تتحول إلى انشودة محبة عندما
 يبتلعها البلبل .

هكذا الإنسان إذا كان خبزاً للآلهة يتذوق الألوهية .

الاله الأول

نعم ، ان الانسان هو خبز الآلهة !
 وكل ما هو من الانسان سيأتي إلى مائدة الآلهة الخالدة !
 آلام الحمل ، وعذاب الولادة ،
 صراخ الاطفال الذي يشق كبد الليل ،
 وغم المرأة وهي تصارع النوم الذي تتوق اليه لتسكب
 الحياة الداوية من ثديها ،
 الأنفاس الملهبة الخارجة من صدور الشباب المتقطعة ،
 والعبرات المثقلة بأحمال الأهواء التي لا تفتح خزائنها بعد ،
 جباه الرجولة القاطرة عرقاً وهي تحرق الأرض الجذباء ،
 وتحسرات الشيخوخة الذابلة ، عندما تدعو الحياة - ضد إرادة
 الحياة - إلى القبر .

تأملوا هذا هو الانسان !

مخلوق يلده الجوع فيصير طعاماً للآلهة الجائعة ،
 وكرمة تدب في تراب الأرض تحت أقدام الموت الذي لا
 يموت .

زهرة تزهر في ليالي الأشباح الشريرة ،
 وعنب لا ينضج إلا في أيام الدموع والرعب والعار .
 وأنتم على رغم هذا كله تطلبون إليّ أن آكل وأشرب ،
 وترغبون إليّ أن أجلس بين الوجوه المكفنة ،

واستقي حياتي من الشفاه الصخرية ،
واقبل خلودي من الأيدي اليابسة !

الاله الثالث

يا أخوي ، اينها الاخوان الراحبان
إن الشباب يغني في أعماق الوادي ،
ولكن انشودته تتصاعد إلى أعالي الجبال .
وهو يهز الغابة بصوته ، ويشق كبد السماء
ويبدد أحلام الأرض

الاله الثاني

(يسم اذنيه دائماً)
ان النحلة تطن بغلاظة في اذنيك ،
والعسل مر المذاق في فمك .
انني أود ان اعزيك ،
ولكن أنسى السبيل إلى ذلك ؟
فليس يصغي غير الهاوية عندما تخاطب الآلهة الآلهة ،
لأن الهوة الفاصلة بين الآلهة لا تحد ولا تقاس ،
والفضاء صامت لا ربح فيه .
ومع كل هذا اريد ان اعزيك ،
أريد أن أجعل دائرتك المتلبدة بالغيوم نقية صافية ،
ومع اننا متساويان بالقوة والفهم ،

فانني اريد ان أخلص لك النصح .

عندما خرجت الأرض من الفضاء ، ورأينا نحن ، ابناء البدء ، احدنا الآخر في النور الذي لا عيب فيه ، حينئذ أصعدنا الصوت الخفسي ، المرتعش ، الأول ، الذي أنعش بجاري الهواء والماء .

ثم مشينا جنباً إلى جنب ، على سطح العالم الفتي الشيخ ، ومن صدى خطواتنا البطيئة ولد الزمان ، الهاً رابعاً ، فاقتفى اثار خطواتنا ، واظلم بخياله أفكارنا ورغباتنا ولم يَرَ الا بنور عيوننا .

ثم جاءت الحياة إلى الأرض ، وجاءت الروح إلى الحياة ، وكانت الروح نغماً مجتجاً في الوجود ، فحكمتنا على الحياة والروح ، ولم يقدر أحد غيرنا على معرفة مقاييس السنين ، وموازين الأحلام السديمية في الأعوام ، حتى جاء العصر السابع فزَفَقْنَا في مدّ ظهيرته البحر عروساً للشمس .

ومن مضجع هذا الزواج المقدس اخرجنا الانسان ، الذي على رغم ضعفه وسقمه ، ما برح يحمل شارة والديه .

وبواسطة الإنسان ، الذي يمشي على الأرض وعيناه في النجوم ، قد وجدنا طريقاً نافذةً إلى أبعد الأصقاع النائية في الأرض ، ومن الانسان ، وهو القصبة الوضيعة النامية على المياه المظلمة ، قد صنعنا مزماراً نسكب من قلبه الفارغ صوتنا الى العالم الصامت في جميع ارجائه . ومن الشمال الذي لا شمس

فيه ، إلى رمال الجنوب المحترقة بالشمس ، ومن ارض عرائس
النيل حيث تولد الأيام ،

إلى جزائر الأخطار حيث تذبح الأيام ،
تري الانسان الضعيف القلب ، يتشجع بغايتنا ،
فيغامر بالقيثارة والسيف .

فهو يذيع إرادتنا .

ويعلم سيادتنا ،

والمجاري التي يطؤها بأقدام محبته هي أنهار سائرة إلى
بحر رغباتنا .

فنحن ، جالسين على اعاليينا . نحلم احلامنا في نوم الانسان .

اننا نحث ايامه لتفارق وادي الشفق البعيد ، وتنشد
كلها على التلال .

وأيدينا تسيّر العواصف التي تجرف العالم ،

وتحمل الانسان من السلامة العقيمة إلى الجهاد المثمر ، ومن
ثمت إلى الانتصار .

وفي أعيننا بصيرة نيّرة تحول نفس الانسان إلى لهيب ،

وتقوده إلى وحدة رفيعة ونبوءة ثائرة ،

ومن ثمت إلى الصلب .

فقد ولد الانسان للعبودية ،

وبالعبودية شرفه ومكافأته .

بالانسان نطلب علامة لما بنا ،

وبحياته ننشد كال ذواتنا .
 فإذا أخرج تراب الأرض قلب الإنسان ، فأى قلب
 يستطيع أن يرجع صدى صوتنا ؟
 وإذا عميت عيون الإنسان بظلمة الليل . فمن يستطيع
 ان يرى لمعان مجدنا ؟
 فإذا يجب أن نفعل بالإنسان وهو ابن قلبنا الأول ، وهو
 صورتنا ومثالنا ؟

الاله الثالث

يا أخوي ، أيها الأخوان القديران ،
 ان قدمي الراقصة الحسناء قد سكرتاً بخمرة الانشاد ،
 فأثارت دقات الهواء المرتعشة ،
 وهي كالحمامة تخلق مرتفعة بجناحيها .

الاله الأول

القبرة تنادي القبرة ،
 ولكن النسر يحوم فوقها .
 وهي لا تتوقف لتصفي إلى الانشاد .
 أنت تريد أن تعلن محبة الذات متكلمة بعبادة الإنسان .
 وراضية بعبودية الإنسان .
 ولكن محبة ذاتي لا حد لها ولا قياس .

فأنا أريد أن أسمى على ما يموت مني في الأرض ،
 وأتخذ لي عرشاً في السماوات .
 فأمنطق الفضاء بذراعيّ ، وأحيط بالأفلاك .
 وأريد أن اتخذ من المجرّة قوساً ،
 ومن المذنبات سهاماً .
 وباللانهائية أريد أن أحكم اللانهائية .
 أما أنت فلا تريد ان تفعل هذا ولو كان في منالك .
 فنسبة الانسان الى الانسان ،
 هي كنسبة الآلهة إلى الآلهة .
 وأنت تريد ان تحمل الى قلبي التعب ،
 ذكرى الأدوار المنقضية في الضباب ،
 في حين أن نفسي نشدت ذاتها بين الجبال ،
 وعينيّ تعقبتا صورتها في المياه الهاجمة
 ولكن عروس امسي قضت نحبها في أثناء ولادتها
 فالصمت فقط يزور رحمتها .
 والرمال التي تقذفها الرياح ترضع ثديها .
 فيا أمسي ، أيها الأمس المائت ، يا والد الوهيتي المقيّدة ،
 أيّ إله عظيم قبض عليك في طيرانك .
 وأرغمك على الولادة في قفص ؟
 وأية شمس جبارة بعثت حرارتها في بطنك لتلدني ؟
 انني لا أباركك . ولكنني لا ألعنك ،
 فكما أنت اثقلت كاهلي بأحمال الحياة ،

هكذا اثقلت أنا كاهل الإنسان .
 بيد انني كنت أقل قساوة منك .
 فأنا الخالد ، قد جعلت الانسان ظلا زائلا ،
 أما انت ، المائت ، فقد خلقتني خالداً .
 فيا أمسي ، أيها الأمس المائت ،
 هل تعود مع القيد البعيد ؟
 فأقودك الى المحاكمة ؟
 وهل تستيقظ مع الفجر الثاني للحياة ،
 فأحو ذاكرتك العالقة بالأرض من الأرض ؟
 أود لو أنك تقوم مع جميع الأموات القدماء .
 نحتي تحتنق الأرض بأثمارها المريرة ،
 وتنتن جميع البحار بدماء المذبوحين فيها ،
 ويستنزف الويل فوق الويل كل ما في الأرض من الخصب
 الذاهب عبثاً .

الاله الثالث

يا أخويّ ، أيها الأخوان القديسان .
 قد سمعت فتاتنا الأنشودة الساحرة ،
 وهي تفتش الآن عن المرنم ؛
 وهي كالخشف في دهشة مسرّتها ،
 ترقص فوق الصخور والجداول
 فتديرها في جميع الجهات .

ما اجل الغبطة التي ترافق المطالب المائتة ،
والعين التي تفتتحها الغاية النصف المولودة ،
ما احلى الابتسامة المرتجفة لما ستمتع به من الغبطة
الموعود بها !

أية زهرة تساقطت من السماء .
أي لهيب ارتفع من الجحيم ،
فحمل قلب الصمت إلى هذا الفرح والخوف المقطع الأنفاس؟
أي حلم حلمناه على الأعالي .
أي فكر بعثناه في الريح ،
فأيقظ غفلة الوادي
وفتح عيني الليل ؟

الاله الثاني

انك قد أعطيت النول المقدس
واعطيت الفن لحياكة الثياب
فالنول والفن سيكونان لك إلى الأبد .
وسيكون لك معها الخيط الأسود والنور ،
ولك ايضاً الارجوان والذهب .
وأنت مع كل هذا تحوكم من نفسك ثوباً .
قد نسجت يدك نفس الانسان من الهواء الحي والنار ،

وانت تريد الآن ان تقطع الخيط ،
وتطلق أصابعك الشعرية في الأبدية الحاملة .

الاله الاول

نعم نعم ، انني سأطلق يدي في الابدية التي لم 'تسبّك في
قوالبها بعد ،

وفي الحقول التي لم تطأها قدمٌ سأطلق قدمي ،
فأية مسرة لي في سماع الأناشيد التي طالما سمعها غيري ، التي
قلتقط ذاكر. الأذن أنغامها قبل ان يسلمها النفس الى أمواج
الهواء ؟

ان قلبي يحنُّ إلا ما لا يستطيع ان يتصوره ،
وانا لن ارسل روحي إلا الى عالم الغير المجهول الذي لا
تقطن فيه الذاكرة ،

بربك ، لا تجربني بمجد فارغ ،
ولا تطلب لي تعزية بأحلامك أو أحلامي ،
لأن كل ما في ، وكل ما في الأرض ،
وكل ما سيكون في الوجود ، لا يقدر ان يستهوي نفسي .
فيا نفسي ،

ان وجهك صامت ،
وأشباح الليل نائمة في عينيك .
ولكن صمتك راعب ،
وأنت راعبة .

الاله الثالث

يا أخويّ ، أيها الاخوان الرصينان .
 ان الفتاة قد وجدت المرنم .
 فهي تنظر وجهه المحبوب .
 وهي كالنمر تتخطر بخطوات ساحرة .
 بين الدوالي والأسيجة المتموجة .
 وهو ينظر إليها الآن في وسط أناشيد محبته .
 أواه يا أخويّ ، أيها الاخوان الغافلان ،
 هل هنالك إله آخر يتألم وقد حاك من آلامه هذا
 النسيج ،
 القرمزيّ والأبيض ؟
 أي نجم جامح قد أفلت هارباً ؟
 ومن يفصل الليل عن النهار بسرّه ؟
 ومن يضع يده على عالمنا ؟

الاله الاول

يا نفسي ، يا نفسي ،
 أيتها الدائرة المحترقة التي تنطقني بلهيبها ،
 كيف استطيع أن أقود سيرك ،
 وإلى أيّ فضاء أدير شوقك ؟

يا نفسي التي لا رفيق لها ،
 أنك في مجاعتك تصطادين ذاتك ،
 وبدموعك تريدان أن تبرّدي عطشك ،
 لأن الليل لا يجمع نداه في أقداحك ،
 والنهار لا يحمل اليك أثماره
 يا نفسي ، يا نفسي ،
 أنت تحملين سفينتك إلى الشاطئ وهي مثقلة بأحمال
 الرغبات .

فمن أين تأتي الرياح لتملأ شمراذك ،
 وأي مدّ فياض يقدر أن يحرك دفتك ؟
 إن مرساتك حاضرة وجناحيك على أهبّة الطيران ،
 ولكن السماء صامتة فوقك ،
 والبحر الهادي يهزأ بسكونك .
 فأني رجاء ثمت لي ولك .
 وأي قلب في العوالم ، أو تبدل في غايات السماء سيطلبك .
 هل يحمل رحمٌ عذراء اللانهاية زرع منقذك ،
 ذلك الذي هو أقدر من أحلامك ،
 وستنقذك يده من عبوديتك ؟

الاله الثاني

احبس صراخك اللجوج ،
وأنفاس قلبك الملتهب ،
لأن أذن اللانهاية صماء ،
وغارقة هي عين السماء .
فنحن كل ما وراء العالم وكل ما فوقه ،
وبيننا وبين الأبدية الغير المحدودة لا يوجد شيء .
غير أهوائنا التي لم تتشكل ، وغاياتها التي لم تتكمل .
أنت تستهوي الغير المعروف ،
والغير المعروف ، المرتدي بالضباب المتحرك ،
إنما يقطن في اعماق نفسك .
نعم ، في اعماق نفسك يضطجع منقذك نائماً ،
وهو يرى في نومه ما لا تراه عيناك المستيقظتان .
هذا هو سرّ كيانتنا .
فهل تعرض عن جمع حصادك ،
لتلقي بذارك بمجلة في اثلام أحلامك ؟
وعلام تبسط سحُبك في الحقول الخربة .
في حين ان قطيعك بفتش عنك ،
وأنت عبثاً تجمع في خيالك ؟
فتأن ، واممن نظرك في العالم .
انظر إلى أولاد محبتك الغير المفطومين .

ان الأرض هي مسكنك ، والأرض هي عرشك ،
 وفوق أرفع آمال الانسان تقبض يدك على قسمته .
 أنت لا تريد أن تتركه -
 وهو المجاهد أن يصل اليك بمسراته وآلامه .
 وأنت لا تحول عينيك عن الحاجة التي في عينيه .

الاله الأول

هل يضم الفجر قلب الليل إلى صدره ؟
 أم هل يعبأ البحر بأجسام موثاه ؟
 كالفجر تنهص نفسي في اعماقي -
 عارية غير متحيرة .
 وكالبحر الذي لا يستريح -
 يطرح قلبي عنه النفاية الزائلة من الأرض والانسان :
 انني لن أعلق بكل من يعلق بي .
 ولكنني اريد ان اسمو إلى ذلك المتسامي فوق ما تصل
 اليه قوتي .

الاله الثالث

يا اخوي ، تأملا أيها الأخوان ،
 ان روحين سائرتين الى النجوم قد اجتمعتا في الجوّ للحساب .
 وهما تنتظران الواحدة الى الأخرى بصمت وسكون .
 ان المرئسم قد انقطع عن الغناء ،

ولكن حلقه الذي حرقته الشمس يرتعش بالأناسيد ،
ولرفيقته الراقصة قد سكن الرقص في أعضائها -
بيد انه لم ينم .
يا أخويّ ، أيها الأخوان الغريبان ،
ان الليل يشتد ادلهاماً ،
والبدر يزداد اشراقاً ،
وبين الغابة والبحر
تصرخ المحبة بأعلى الصوت تدعوكم وتدعوني الى قلبها .

الاله الثاني

يا لتفاهة الكيان ، والنهوض ، والاحتراق أمام الشمس
الملتبهة ، والحياة والمراقبة لليالي الاحياء -
كما تراقبنا عين الجوزاء !
يا لحقارة مجابهة الرياح الأربعة برأس مكلل رفيع ،
وشفاء أسقام الناس بأنفاس لا مد في بحرهما ؟
ان الخيام جالس يخبط خبط عشواء أمام نوله ،
والخزاف يدير دولابه بعدم اكتراث ،
أما نحن ، الذين لا ينامون ، ويعرفون كل شيء ،
فقد أعتقنا من ظلمة الظن والتخمين .
فنحن لا نتردد ولا نؤمن الفكر والنظر .
لأننا قد سمونا رفعة على جميع الاسئلة القلقة .

فلنمش مطمئين ، ولنطلق طيور أحلامنا من أقفاصها .
 وكالأنهار فلنسكب في البحر —
 من غير أن تديرنا حافات الصخور ،
 فإذا بلغنا قلب اللجة ، وابتلعتنا أمواجها ،
 انقطعنا عن المجادلة والتأمل في مصير الغد ، إلى الأبد .

الاله الاول

أفّ من ألم هذا التكهن الذي لا ينقطع ،
 وهذا السهر السائر بالنهار إلى الشفق ،
 والذهاب بالليل إلى الفجر ،
 أفّ من هذا المدّ الذي يحملنا إلى الذكرى الدائمة ،
 والنسيان الدائم ،
 وهذا الزرع المتواصل لبذار الاقدار التي لا تحصد منها
 غير الآمال ،
 وهذا الرفع الغير المتغير للذات من التراب إلى الضباب ،
 لتجنّ إلى التراب ، ثم تسقط بنحنيها إلى التراب ،
 ثم لا يلبث أن يتضاعف حنينها فتنهض ناشدة الضباب
 ثانية .
 أفّ من هذا القياس الذي يغير أوانه للزمان الذي
 لا يتغير .

وهل تحتاج نفسي الى أن تصير بحراً تزعج بحاريه بعضها
بعضاً الى الأبد ،

أو جواً تتحول فيه الرياح المتحاربة الى زوبعة ؟
لو كنت رجلاً ، لو كنت عبيراً أعمى ، —
لكان في طوقي الصبر على كل هذا .
أو لو كنت الاله الأعلى ، الذي يملأ فراغ الانسان والآلهة ،
لكنت اكتفي بذاتي .

ولكن أنا وأنت لسنا بشراً ،
ولا نحن بالعلي الذي فوقنا .
ولكننا أشفاق (جمع شفق) لا تنقطع عن الظهور
والزوال من أفق الى أفق .

وآلهة ، نمسك بالعالم ويمسك العالم بنا .
وقد قضى علينا أن ننفخ بالأبواق ،
ولكن الروح النافخة والموسيقى الخارجة من أبواقنا ليست
منا بل تأتي من فوق .

لذلك تراني أرغب في الثورة .
أريد ان استنزف ما بي حتى أصير فارغاً .
أريد أن أبتعد عن بصيرتك ،
أريد أن أختفي من ذاكرة هذا الشاب الصامت ، الذي
هو أخونا الأصغر ، الجالس قريباً منا يتأمل في ذلك
الوادي ،

ومع أن شفتيه تتحركان ، فهو لا ينطق بكلمة .

الاله الثالث

انني أتكلم ، أيها الاخوان الغافلان .
 انني أتكلم بالحقيقة ،
 ولكنكما لا تسمعان غير حديثكما .
 أطلب إليكما أن تنظرا مجدكما ومجدي ،
 بيد انكما تتحولان ، وتطبقان أجفانكما ،
 وتهزان عرشكما .
 فيا أيها الحاكمان الراغبان في السيادة على العالم العلوي
 والعالم السفلي ،
 أيها الإلهان الاقنيتان اللذان لا ينقطع أمسهما عن
 حسد غده ،
 أيها التعبيان من أثقال ذاتكما ، المهدئان حدة غضبكما
 بالكلام ، والضاربان محاجرنا بالصواعق !
 ليست نخاصمتكما سوى صوت القيثارة القديمة .
 التي نسيت أصابع القدير نصف الضرب على أوتارها —
 ذلك الذي الجوزاء عودُهُ والثريا صنُوجُهُ ،
 وهو حتى في هذه الساعة التي تتمتان وتدمدمان فيها
 يضرب على عوده وصنُوجهِ ،
 فآلتمس منكما أن تصفيا إلى أنشودته .
 انظرا ، رجلا وامرأة ،
 لهيباً مع لهيب ،

يذوبان وجداً وهياماً .
 جذور ترضع ثدي الأرض الأرجواني ،
 وزهور من نار على صدر السماء .
 ونحن الثدي الأرجواني ،
 ونحن السماء الباقية .
 ان نفسنا التي هي نفس الحياة ، نفسكما ونفسي ،
 انما تقيم الليلة في حلقٍ ملتهب ،
 بجلاء جسم فتاة طاهرة ، بثوب من الأمواج الثائرة .
 ان صولجانكما لن يغير هذه القسمة المعدة لنا ،
 وهمكما هي الطموح بعينه .
 لأن هذا جميعه سيمحى من الوجود في هوى الرجل
 والمرأة .

الاله الثاني

وما شأن هذه المحبة بين الرجل والمرأة ؟
 تأمل كيف ترقص الريح الشرقية بقدميها الرشيقتين ،
 وتنهض الريح الغربية مترنمة بأنشودته .
 انظر إلى محبتنا المقدسة جالسة على عرشها الآن ،
 باستسلام روح تفني الى جسد يرقص .

الاله الأول

انني لن أحوّل عيني الى وهم الأرض ،

ولن أنظر إلى اولادها في المهم البطيء الذي تسميه محبة .
وما هي المحبة ؟
سوى طبل مُقَنَّع يقود موكباً طويلاً من الريب اللذيذ .
إلى شكل آخر من الألم البطيء ؟
إنني لا أريد أن أنظر إلى هذا الوم
وأى شيء تراه هناك —
إلا رجل وامرأة في الغابة التي نمت لتصطادها في
فخاخها ، وتعلمها انكار الذات —
وولادة المخلوقات لغدنا الذي لم يولد بعد ؟

الاله الثالث

أفـ من الألم الذي تجلبه المعرفة .
والقناع المظلم الذي وضعه تفحصنا وتساؤلنا على وجه
العالم ، والاستنهاد الذي نوجهه في كل ساعة للصبر البشري !
فنحن نضع تحت حجرة شكلاً من الشمع
ثم نقول انه شكس من الطين ،
فليجد في الطين آخرته .
ونمسك بأيدينا لهيباً أبيض ،
ثم نقول في قلوبنا ،
انه عبير ذواتنا يرجع إلينا ،
ونسمة نسمتنا الفالئة منا ،

وبعد ذلك نعهد مفتشين في أيدينا وشفاهنا عن المزيد
من العبير .

فيا اخوتي ، آلهة الأرض
اننا وان كنا في أعلى الجبل ،
فنحن ما زلنا نسير إلى الأرض —
بواسطة الانسان الراغب في الساعات الذهبية التي في
نصيب أخيه الانسان .

فهل تسلب حكمتنا الجمال من عينيه ؟
أم هل تخضع مقاييسنا أهواءه فتحملنا إلى السكون ، أو
تقودها إلى مستوى أهوائنا ؟

ماذا تقدر أن تصنع جيوش أفكاركم —
حيث تجتمع المحبة يحيوشها الحرارة ؟
ألا ان الذين غلبتهم المحبة .
وسارت بمواكبها فوق أجسادهم من البحر إلى الجبل .
ومن الجبل إلى البحر ،

يقفون الآن ، وفي كل أوان ، متعانقين بحياء ووقار .
باجتماع أوراق زهور محبتهم يتنشقون عبير الحياة المقدس .
وباتحاد نفوسهم يجدون نفس الحياة ،
وعلى اجفانهم ترسم صلاة مرتفعة إلينا .
المحبة هي ليل منحن بوقار تحت خيمة مقدسة ،
وسماء قد تحولت إلى غابة ،
بل هي جميع النجوم قد تحولت إلى حباحب .

نحن بالحقيقة كل ما وراء العالم وكل ما فوقه .
ولكن المحبة أبعد من أن تصل إليها أسئلتنا -
واسمى من أن تبلغ إليها انشودتنا .

الاله الثاني

أتطلب دائرة بعيدة ؟
ولا تهتم بهذا الكوكب الذي غرست فيه عزيمتك ؟
ليس في الفضاء مركز إلا حيث تزف النفس إلى النفس ،
ويكون الجمال شاهداً وkahناً .
فتأمل وانظر الجمال مبعثراً حول أقوامنا ،
تأمل جيداً كيف يملأ الجمال أيدينا لينزل العار بشفاهنا .
ان الأبعد هو الأقرب .
وحيث يكون الجمال ، يكون كل شيء .
أواه أيها الأخ الحالم الرفيع ،
ارجع إلينا من عهد أرض الكأبة القائمة !
حرّر قدميك من اللامكان واللازمان ،
واقطن معنا في هذه الطمأنينة الآمنة -
التي ابتنتها يداك وأيدينا حجراً فوق حجر .
انزع عنك ثوب خفقان قلبك ،
وكن رفيقاً لنا في السيادة على هذه الأرض الفتية ، الحارة
يجلال نخضرتها .

الاله الاول

أيها المذبح الخالد !

هل تريد بالحقيقة إلها لضحيّتك في هذه الليلة ؟
 إذن فأنا قادم ، وبقدومي أقرب محبتي وألمي .
 هنالك تقف الراقصة ، التي نُحِيتْ من شوقنا القديم ،
 والمرنم يصيح بأناشيدي في أمواج الريح .
 وفي ذلك الرقص ، وفي ذلك الانشاد —
 يموت إله قدير في أعماقي .
 ان إله قلبي القاطن وراء ضلوع بشرتي ينادي إله قلبي
 المقيم في الهواء .
 والهاوية البشرية التي طالما عطلت عليّ راحتي تصرخ إلى
 الألوهية .
 والجمال الذي نشدناه منذ البدء يصرخ إلى الألوهية .
 وفي أصغائي قد قست هذا الصراخ ،
 وما أنا ألقى سلاحي . .
 فالجمال طريق يؤدي إلى الذات المقتولة بيد ذاتها .
 فاضرب أوتارك .
 انني مستعدّ للسير على الطريق .
 فهي تمتد إلى فجر آخر .

الاله الثالث

قد انتصرت المحبة !
 سواء أكانت المحبة بياضاً ناصعاً أو خضرة زاهية بجانب
 بحيرة ، أو كانت جلالاً وفخاراً في القباب الرفيعة ، أو كانت

في بستان حافل بالناس ، أو في صحراء لم تطأها قدم
الانسان ،

فالمحبة هي ربنا ومعلمنا في كل حال .
فهي ليست بالشهوة الزائلة في الجسد .
ولا هي فتات الرغبة المتساقط من مصارعة الرغبة
للذات ،

كلا ، ولا هي بالجسد الحامل سلاحه على الروح .
لأن المحبة لا تعرف الثورة .
ولكنها تهجر طريق الأقدار القديمة لتسير إلى الغابسة
المقدسة ،

لترقص وتترنم بأناشيد أسرارها في آذان الأبدية .
المحبة شباب قد تحطمت قيوده ،
ورجولة قد تحررت من عناء الأرض ،
وأنوثة حارة بلهيب مقدس ، مشرقة بنور سماء أبهى
من سمائنا .

المحبة ، ضحك بعيد في أعماق الروح .
المحبة ، حملة قديرة تسير بك إلى يقظتك .
المحبة فجر جديد على الأرض ،
ويوم لم تصل اليه لا عينك ولا عيني ،
ولكن المحبة قد وصلت إلى قدس أقداسه بقلبيها الأعظم .
يا أخوي ، يا أخوي ،
ان العروس قادمة من قلب الفجر

لتلاقي عروسها القادم من الغروب .
 وسيكون عرس في الوادي ،
 ويوم اعظم من أن تدون حوادثه .
الاله الثاني
 هكذا كان منذ أطلق الصباح الاول السهول
 الى التلال والودية ،
 وهكذا سيكون الى بعد المساء الاخير .
 ان جذورنا قد انبتت الاغصان الراقصة في الوادي ،
 ونحن أزهار عبير الانشودة المرتفعة إلى الاعالي .
 فالخالد والمائت نهران توأمان يناديان البحر بغير انقطاع
 وليس بين النداء والنداء فراغ قط ، إلا في الاذن .
 فالزمان يزيد اصفاءنا ثقة ،
 ويضيف إلى رغباته .
 ولا يخرس الصوت في المائت الغير المرقاب
 أما نحن فقد تسامينا على الشكوك .
 فالانسان هو ابن قلبنا الاصغر .
 الانسان إله يرتفع الى الوهيته ببطء شديد ،
 وبين مسرته وأله ننام ونحلم أحلامنا .
الاله الاول
 دع المرئم يترئم ، والراقصة تحرك قدميها .
 ودعني اطمئن هنيئة .

ان نفسي تريد ان تستريح الليلة .
 فقد يغلبني النوم ، وفي نومي أري عالماً أكثر نوراً من
 هذا العالم ،
 فتأتي مخلوقات أبهى من مخلوقاتنا فتسرق طريقها الى
 فكري .

الاله الثالث

انني أنهض الآن فأجرد نفسي من حدود الزمان والمكان ،
 وأرقص في ذلك الحقل الذي لم تطأه قدما انسان ،
 وستتحرك قدما الراقصة مع قدمي ،
 وسأترنم في ذلك الملا الاعلى ،
 وسيختلج صوت بشري مع صوتي .
 سنعبث الى الشفق البعيد ،
 فقد نستيقظ في فجر عالم آخر .
 ولكن الهبة باقية
 ولن تمحى آثار أصابعها
 ان الكور المقدس متأجج بالنار ،
 وكل شمعة تصعد منه هي شمس محترقة .
 فالاجدر والاتحكم لمصلحتنا —
 أن نفتش عن قرنة صغيرة فننام في الوهيتنا الارضية
 تاركين امر قيادتنا الى اليوم المقبل ، الى الهبة البشرية
 الضعيفة .

السابق

أمثاله وأشعاره

وضعه بالإنكليزية فقيده الشعر والفن

جبران خليل جبران

تعريب

الارشمندريت الطونيوس بشير

أنت سابق نفسك

أنت سابق نفسك يا صاح ، وما الأبراج التي أقمتها في
حياتك سوى أساس لذاتك الجبارة . وهذه الذات في حينها
ستكون أساساً لغيرها .

وأنا مثلك سابق نفسي ، لان الظل المنبسط أمامي عند
شروق الشمس سيتقلص تحت قدمي عند الظهيرة . وسيعقب
هذا الشروق شروق آخر ، فيحدث ظلاً ثانياً أمامي ، ولكن
هذا الظل عينه سيتقلص تحت قدمي أيضاً في ظهيرة أخرى .

منذ البدء ونحن سابقو نفوسنا ، وسنبقى سابقي نفوسنا
إلى الابد . وليس ما حشدنا ونحشد في حياتنا سوى بذور
نمدّها لحقول لم تفلح بعد . نحن الحقول ونحن الزارعون .
نحن الاثمار ونحن المستثمرون .

عندما كنتَ يا صاح فكرةً هائمةً في الضباب ، كنت
هنالك فكرة هائمة مثلك ، فنشدتك ، ونشدتني ، فكانت من
تشوقاتنا الاحلام ، والاحلام كانت زماناً بلا قيود ، والاحلام
كانت فضاءً بلا حدود .

وعندما كنت كلمة صامته بين شقي الحياة المرتعشتين
كنت أنا مثلك هنالك كلمة صامته ؛ وما تلفظت الحياة بنا
حق برزنا الى الوجود وقلبان يخفقان بتذكريات الامس والحنين
الى الغد . وما الامس سوى الموت مطروداً ، ولا الغد سوى
الميلاد مقصوداً .

وما نحن الآن في يدي الله ، فأنت شمس منيرة في يمناه ،
وأنا أرض مستنيرة في يسراه ، ولكن قوتك على الانارة
ليست بأفضل من قوتي على الاستنارة .

وما نحن ، الشمس والارض ، إلا بداءة لشمس أعظم
وأرض أعظم ، وسنبقى بداءة الى الابد .

أنت سابق نفسك أيها الغريب العابر بباب حديقتي ، وأنا
مثلك سابق نفسي ، ولو كنت أجلس في أظلال أشجاري
وأبدو ساكناً هادئاً .

البهلول

جاء في قديم الزمان رجل من البادية الى مدينة الشريعة
العظيمة ، وكان بهلولا خياليا . ولم يكن له من متاع سوى
ثوبه وعصاه

فكان يطوف في شوارع المدينة ويتأمل في هياكلها
وأبراجها وقصورها باعجاب واجلال ؛ لأن مدينة الشريعة
كانت غاية في الجمال .

وكان بين الآونة والأخرى يخاطب العابرين به مستفهما
عن مدينتهم وغرائبها ، فلم يفهموا لغته ، كما انه لم يفهم لغة
أحد منهم .

وعند انتصاف النهار وقف أمام فندق فسيح الارحاء ،
بديع الهندسة والاتقان ، وكان الناس يدخلون اليه ويخرجون
منه من غير اعتراض

فقال البهلول في ذاته : « لا شك ان هذا مزار مقدس »
ودخل مع الداخلين .

وشدّ ما كانت حيرته عندما وجد نفسه في بهو عظيم ،
وكبراء القوم ، من رجال ونساء ، جالسون الى كثير من
الموائد الانيقة ، يأكلون ويشربون ، والموسيقيون يشنفون
آذانهم بأطرب العزف والغناء .

فقال البهلول إذ ذاك في ذاته : « قد ضللت ، فما هذه بالعبادة التي توهمت ، بل هذه مأدبة أعدّها الأمير لشعبه تذكّاراً لحادث جلل » .

وفي تلك الدقيقة دنا منه رجل ، خُيل إليه أنه عبد الأمير ، وسأله أن يجلس مع الجالسين ؛ فجلس . فقدمت إليه اللحوم ، والخمر ، والحلوى ، افخرها وأشهاها ، فأكل هنيئاً وشرب مريئاً .

وعندما بلغ كفافه ممّ بالانصراف ، ولكنه ما وصل إلى الباب حق دنا منه رجل بادن متأنق اللباس فأوقفه . فقال البهلول في نفسه : « لا شك أن هذا هو الأمير بعينه » ، فانحنى امامه وحيّاه باحترام وشكره بلفظة قبيلته . أما الرجل البادن فخاطبه بلفظة المدينة ، قائلاً له : « يا سيدي أنك لم تدفع بعد ثمن غذائك » .

فلم يفهم البهلول شيئاً ، ولكنه شكره ثانية من صميم قلبه . فتأمل الرجل البادن جيداً ، وبعد أن أمعن النظر في وجهه ملياً ، أدرك أنه غريب عن المدينة ، وعرف من ثيابه الرثة أنه فقير الجال وليس له ما يدفعه ثمن غذائه . فصفق منادياً ، فجاء على الفور أربعة من حراس المدينة ومثلوا بين يديه . فقص عليهم قصة البهلول . فalcرو القبض عليه في الحال ، ومشوا به اثنين اثنين الى جانبيه . أما البهلول فكان يتأمل في ملابسهم المزركشة ، وهو يكاد يطير

فرحاً قائلاً في سره : « لا شك في ان هؤلاء من أشرف المدينة » .

فسار الحراس به إلى أن بلغوا دار القضاء ، فدخلوا إلى قاعة المحاكمة . فرأى البهلول أمامه ، في صدر تلك القاعة ، رجلاً جليلاً ، جالساً على منصة عالية ، تجلله المهابة ، وتزيده لحيته البيضاء المسترسلة على صدره هيبةً ووقاراً . فخيل إليه انه الملك بعينه ، وطارت نفسه فرحاً لمثوله أمامه .

ثم بسط الحراس دعوائهم إلى القاضي ، فمئن القاضي محامين ، واحداً ليدعي على البهلول ، وآخر ليتولى الدفاع عنه ، فنهض المحاميان الواحد تلو الآخر ، وأدلى كلٌّ بحججه .

أما البهلول فظن انها يرحبان به باسم الملك ، فامتلاً قلبه بمواطف المنة ، ومعرفة الجليل للملك ، وللأمير ، على كل ما جرى له .

وعند انتهاء المحاكمة ، حكم القاضي بما يأتي على البهلول : « يجب أن تكتب جريمته على لوحة ، وتعلق على صدره ، ثم يركب حصاناً عاريّاً : ويطاف به في المدينة ، ويسير المزمرون والمطبلون أمامه » .

فنفذ الحكم في الحال ، وأركب البهلول حصاناً عاريّاً ،

وطيف به في شوارع المدينة ، وسار المزمرون والمطبلون أمامه .
 وكان سكان المدينة يتراكمون على سماع الأصوات ، فينظرون
 إليه وهو على تلك الحالة ، ويفربون في الضحك أفراداً
 وجماعات . وكان الأولاد يركضون وراءه من شارع إلى شارع
 زرافات زرافات .

أما البهلول فكان ينظر اليهم يعينين مشرقتين فرحاً ،
 والدهش أخذ منه مأخذه ، لأنه كان يعتقد ، ان اللوحة
 المعلقة على صدره ، انما هي وسام قدمه له الملك عربون
 بركته ورضاه عن زيارته ، وان ذلك الموكب ما سار إلا
 احتفاء بحضرته .

وحدث أنه فيما هو راكب والجمع يحشده ، رأى بينهم
 بدوياً من قبيلته ، فاختلج قلبه طرباً ، وهتف به بأعلى صوته
 قائلاً : « برئك يا صاح ! أين نحن الآن ؟ اليست هذه المدينة
 التي يسميها شيوخنا مدينة رغائب القلب ، وشعبها الاريحيون
 الفياضون ، الذين يحتفون بمابر السبيل في قصورهم ، ويرافقه
 امراؤهم ، ويشرف ملكهم صدره بالنياشين ، فاتحاً له أبواب
 مدينته الهابطة من السماء ؟ »

فلم يقل البدوي الثاني كلمة قط ، ولكنه تبسم وهز
 رأسه .

أما الموكب فاستمر في سيره . وكان وجه البهلول مرتفعاً
 أبداً والنور يفيض من عينيه .

المحبة

يقولون انت ابن آوى يشرب من الجدول الواحد الذي
يشرب منه الأسد .

ويقولون إن النسر والشوكة ينقدان الجيفة الواحدة وهما
متفقان متسلمان .

فيا أيتها المحبة العادلة ،

يا من كبحت جماح رغائي بيدك القديرة ،

وحولت مجاعتي وعطشي إلى إباءٍ وشمم ،

لا تأذني للقويّ المزوم فيّ ، أن يأكل الخبز ، أو يشرب
الحمر ، اللذين يستهويان ذاتي الضعيفة .

ذريني بالأحرى فأقضي جوعاً ، بل دعي قلبي يتلهب
عطشاً ،

واتركيني أموت وأفنى ، قبل أن أمدّ يدي لقدح لم تملئيه
أو كأس لم تباركيه .

الملك الناسك

نُخبِرت ان فق يعيش في غابة بين الجبال ، وانه كان فيما
مضى ملكاً على بلاد واسعة الأرجاء في عبر النهرين . وقيل لي
أيضاً ، ان هذا الفق قد تخلّس بملء اختياره ، عن عرشه وعن
أرض أمجاده ، وجاء ليستوطن القفار .

فقلت في نفسي : لأسمين الى ذلك الرجل سعيّاً ، وأقف
على ما في قلبه من الأسرار ، لأن من يتنازل عن الملك فهو بلا
شك اعظم من الملك ! ! !

فذهبت على الفور إلى الغابة حيثما كان قاطناً . فوجدته
جالساً في ظلال سروة بيضاء ، وبيده قصبة كان ممسكاً بها
كأنما هي صولجانه . فحييته تحية الملوك . وبعد أن ردّ التحية
التفت اليّ وقال بلطف : « ما عساك تبتغي في هذا الغاب
الأعزل يا صاحبي ؟ أجئت تنشد ذاتاً ضائعة في الأظلال
الخضراء ، أم هي عودة إلى مسقط رأسك عند انقضاء شغل
النهار ؟ »

فأجبتة قائلاً : « إنني ما نشدتُ إلاك ، ولا شاقني إلا
الوقوف على ما حدا بك إلى استبدال مملكتك الكبيرة بهذه
الغابة الحغيرة ؟ »

فقال : « وجيزةٌ هي قصتي ، فقد انطفأت فقايع
غروري فجأةً . واليك حكايتي :

بينما كنت جالساً الى نافذة في قصري ، كان وزير يي يتمشى
مع سفير أجنبي في حديقتي . وعندما صارا على مقربة من
نافذتي ، سمعتُ الوزير يتكلم عن نفسه قائلاً : « أنا مثل الملك
أتعطش للخمرة المعتقة ، وأعشق جميع ضروب المقامرة ،
ويثور بي ثائر الغضب كسيدي الملك » . ثم توارى الوزير
والسفير بين الأشجار . ولكنها ما لبثا أن عادا بعد برهة ،
وإذا بالوزير يتكلم عني في هذه المرة قائلاً : « ان سيدي الملك
مثلي يُحسن الرماية ، ويتعشق الألحان ، وهو مثلي يستحم
ثلاثاً في النهار » .

وسكتَ لحظة ثم زاد قائلاً : « في عشيّة ذلك اليوم
تركت بلاطي ، ولا شيء معي سوى عباءتي ، لاني لم أشأ بعد
ذلك أن أكون ملكاً على قوم يدعون نقائصي لأنفسهم ويعزون
فضائلهم إليّ » .

فقلت له : « ما أغرب قصتك ، وما أعجب أمرك ! »

فأجابني قائلاً : « ليس هنالك من غرابة يا صاحبي ،
فقد قرعت أبواب سكينتي طامعاً منها بالكثير ، فلم يكن
لك منها سوى اليسير . بربك قل لي ، مَنْ لا يستبدل

مملكة بغاية قترنم فيها الفصول ، وترقص طروبة أبداً ؟
 كثيرون هم الذين تركوا بمالكهم ليستبدلوا بها ادنى مراتب
 الوحدة ، والتمتع بحياة العزلة السعيدة . وكم هنالك من نسور
 هبطت من جوها الأعلى ، لتعيش مع المناجذ في انفاقها
 الضامّة فتتفهم أسرار الغبراء ! بل ما أكثر الذين يعتزلون
 مملكة الاحلام لئلا يظهروا للناس انهم بعيدون عن لا أحلام
 في نفوسهم ؛ والذين يعتزلون مملكة المُرّي ، ساترين عُرية
 نفوسهم ، حتى لا يستعحي الأحرار من النظر الى الحق عارياً
 والتأمل في الجمال سافراً . وأعظم من هؤلاء جميعهم ، ذاك
 الذي يعتزل مملكة الحزن ، لكي لا يظهر للناس معجباً
 مفاخره بكآبته .

ثم نهض متوكئاً على قصبته وقال : « ارجع الآن الى
 المدينة المظلمى ، وقف بأبوابها مراقباً جميع الداخلين اليها
 والخارجين منها . واعن بأن تجد الرجل الذي على رغم
 انه وُلِدَ ملكاً فهو بدون مملكة ؛ والرجل الذي على
 رغم انه مَسُودٌ يجسده فهو سائد بروحه - ولكنه لا
 يدري بذلك ، ولا رعاياه يدرون بسيادته - والرجل
 الذي يبدو للعيان حاكماً ولكنه في الحقيقة عبد لعبيد
 عبيده . . . »

وبعد ان فرغ من كلامه ، نظر الى " ، فلاحته لي منه
 ابتسامة خلقتها الفة فجر وفجر .

ثم تحول عني متخلفاً في قلب الغابة .

أما أنا فرجعت الى المدينة ، ووقفت بأبوابها أراقب
العابرين بي ، على نحو ما قال لي . وما أكثر الملوك الذين مرت
أظلالهم فوقى ، منذ ذلك اليوم حتى الساعة ، وأقل الرعايا
الذين مرّ فوقهم ظلي .

بنت الأسد

وقف أربعة عبيد يروحون بمراوحهم للملكة الحيزبون
كانت نائمة على عرشها تغط غطيظاً غليظاً . وكان في حضن
الملكة هرة متكنة تموء وهي تنظر الى العبيد نظرة كره
واشمئزاز .

فقال العبد الأول لرفقائه : ما أبشع هذه الحيزبون نائمة ،
انظروا كيف تراخت شفتاهما ، وهي تصمد أنفاسها كأنما
الشیطان أخذ بخناقها .

فموت الهرة قائلة : « ان بشاعتها في رقبتها ليست جزءاً
من بشاعتكم في عبوديتكم وأنتم مستيقظون . »

ثم قال العبد الثاني : « ومن الغريب أن النوم لم يلطف
ملائح وجهها ، بل زادها تجمداً ، فهي ولا شك حالة حلماً
شريراً راعياً . »

فموت الهرة قائلة لهم : « هذا لو تنامون أنتم وتحملون
بحريتكم . »

فقال العبد الثالث لرفقائه أيضاً : « يلوح لي انها ترى في
منامها موكب جميع ضحاياها الذين قتلتهم ظلماً وعدواناً . »
فموت الهرة قائلة : « نعم فهي ترى مواكب أجدادكم
وأحفادكم . »

ثم قال العبد الرابع : « ما أغباكم تتحدثون عن هذه الملكة وهي نائمة ، وماذا يجديكم الحديث نفعا أو يجديني ؟ ألعنه يخفف عني نصيبي في وقوفي وعنائني في ترويعي لها ؟ »

فقالت الهرة وهي تموي : « أجل ، انكم ستروحون الى دهر الداهرين ، لأنه كما على الأرض كذلك في السماء . »

وفي تلك اللحظة تحركت الملكة في نومها ، فسقط تاجها على الأرض . فقال واحد من العبيد : « ان في ذلك لشؤماً ! » .
فموت الهرة وقالت : « مصائب قوم عند قوم فوائد . »

فقال العبد الثاني : « ماذا يحلّ بنا اذا أفاقت الآن من نومها ورأت تاجها ساقطاً على الأرض والله انها تذبجنا جميعاً ! »

فموت الهرة قائلة : « قد كانت تذبجكم منذ ميلادكم أيها الاغبياء وأنتم لا تعلمون . »

وقال العبد الثالث : « انها ولا شك تذبجنا . وتعتبر انها بعملها هذا انما تقرب عبادة لآلهتها . »

فموت الهرة قائلة : « لا يضحى للآلهة إلا الضعفاء . »

أما العبد الرابع فأسكت رفقاءه عن الكلام ، والتقط التاج بتأنٍ ، ووضع على رأس الملكة من غير أن يوقظها .

السابق (٤)

فموت الهرة وقالت بصوت عال : « الحق أقول لكم ،
انه لا يلتقط التيجان المدحرجة سوى العبيد » .

وبعد هنية استيقظت الملكة ، وتلفتت حوالها متثابرة ،
ثم قالت لمبيدتها : « يخيل إليّ اني حملت باني رأيت أربع
حشرات يطاردها عقرب حول جذع سنديانة جبارة . قبّحه
الله من حلم مزعج . »

وأطبقت عينيها فنامت ثانية بعد ان ملأت القاعة
بغطيظها . فطفق العبيد الأربعة يروحون لها على جاري
عادتهم .

أما الهرة فموت قائلة لهم : « روحوا ، روحوا أيها
العميان والأغبياء ، فما أنتم تروحون الا ناراً تلتهم وجودكم ! »



الظلم مرتعه وخيم

هذه أغنية التنينة التي تحرس كهوف البحر السبعة :

« سيأتي قريني راكباً على الأمواج ،

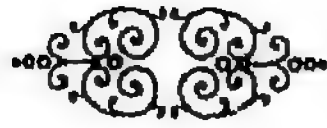
« وسيملاً الأرض رعباً بهديره العجاج ،

« وستندلع نيران منخريه في أقاصي الفضاء .

« عند كسوف القمر سأزف إليه ،

« وعند خسوف الشمس سألدُ جورجيوس آخر فيذبجني »

هذه أغنية التنينة التي تحرس كهوف البحر السبعة .



(١) كان عند قدماء الاشوريين اله له رأس انسان وجسم ثور واجنحة طائر ، وكانوا يرمزون برأسه عن الفكر ، ويجسمه عن العزم ، وبأجنحته عن الخيال . وهذا ما عناه المؤلف بقوله : « قاعة الثيران المجنحة » .

القديس

زرت في جداتي قديساً في صومعته الهادئة القائمة بين التلال ؛ وفيما كنا نبحث ماهية الفضيلة ، أطبل علينا لص وهو يتمرج على الجانبين فوق الروابي ، والتصب قد أعياه . وعندما وصل إلى الصومعة ، جثا على ركبتيه امام القديس ، وقال له : أيها القديس الشفيق ، قد جئتك طالباً تعزية ، فان آثامي قد تعالت فوق رأسي . «

فأجابه القديس قائلاً : « يا ابني ، ان آثامي أنا أيضاً قد تعالت فوق رأسي . «

فقال له اللص : « عفوك يا سيدي ! فانا سارق ، وقاطع طريق ، ويستحيل ان تكون مثلي . «

فأجابه القديس : انك واهم يا ابني ، فاني بالحقيقة مثلك سارق وقاطع طريق . «

فقال له اللص : « ماذا تقول يا سيدي ؟ فانا قاتل ، ودماء الكثيرين من الناس تصرخ في أذني . «

فأجابه القديس قائلاً : « وأنا أيضاً قاتلٌ يا ابني ، وفي أذني تصرخ دماء الكثيرين . «

فقال له اللص : « يا سيدي ، أنا قد ارتكبت شروراً لا تحصى ، وجرائم لا عداد لها ، فكيف تساوي نفسك بي وأنت رجل الله البار ؟ » .

فأجابه القديس وقال : « لو أنك عرفت كثرة شروري لما ذكرت شرورك » .

فانتصب اللص إذ ذاك ، وصدق بالقديس طويلاً ، وملأ عينيه دهشة وغبابة ، ومضى من غير أن ينبس ببنت شفة .

أما أنا فكنت صامتاً إلى تلك الدقيقة . فالتفت آنئذ إلى القديس ، وسألته قائلاً : « ما دعاك إلى أن تنسب لنفسك شروراً لم ترتكبها قط يا سيدي ؟ ألا ترى ، أن هذا الرجل ، قد مضى ولم يعد يعد من المصدقين بدعوتك والمؤمنين ببشارتك ! »

فأجاب القديس وقال : « أجل يا ابني ، فإنك بالصواب حكمت ، بأنه لم يعد من المصدقين بدعوتي ، ولكن الحق أقول لك أنه قد انصرف والعزاء يملأ قواده » .

وفي تلك اللحظة سمعنا اللص يغني من بعيد ، وكانت الاودية تردد صدى صوته الممتلئ بالمسرة والتعزية .

الطمع

رأيت في جولاني في الأرض وحشاً على جزيرة جرداء ،
له رأس بشري ، وحوافر من حديد .

وكان يأكل من الأرض ، ويشرب من البحر بلا انقطاع .
فوقفت أراقبه ردحاً ؛ ثم دنوت منه وسألتُه قائلاً : « ألم
تبلغ كفافك بعد ؟ أليس لجوعك من شبع أو لظمأك من
ارتواء ؟ »

فأجابني وقال : « نعم ، نعم قد بلغت كفاي ، بل قد
مللت الأكل والشرب ، ولكنني أخاف أن لا تبقى إلى غدٍ
أرض لا أكل منها وبحر لأرتوي من مائه » .



الذات العظمى

حدث بعد تتويج 'نفسيم' ، ملك جبيل ، انه انصرف إلى مقصورته ، وهي الغرفة التي بناها له عرافو الجبل النساك .
فترع تاجه ، وخلع « برفيره » ووقف في وسط المقصورة ،
مفكراً في عظمته المتناهية ، كملك جبيل الواسع السلطان ،
في ذلك الزمان .

وكان في صدر تلك المقصورة مرآة مفضضة الاطار ،
أهدتها اليه أمه ، فالتفت اليها بغتة ، واذا برجل عاري قد
خرج منها وتقدم اليه .

فأخذ الرعب بمجامع قلبه ، وصرخ بالرجل قائلاً : « ماذا
تريد أيها الرجل ؟ »

فأجابه الرجل وقال : « أودُّ شيئاً واحداً أيها الملك ،
وهو ان تخبرني لماذا توجوك ملكاً على هذه البلاد ؟ »
فقال له الملك : « قد توجوني مليكاً عليهم لأنني أنبل
رجل بينهم » .

فقال له الرجل : « والله لو كنت أنبل مما أنت لما
قبلت الملك » .

فأجابه الملك : « بل انما توجوني لأنني أشدّهم بأساً
وقدرة . »

فقال له الرجل : « لو كنت بالحقيقية أشدّهم بأساً لما
قبلت أن تكون مليكاً عليهم . »

فقال له الملك : « ألا انما توجني شعبي لأنني أوفرهم
حكمة . »

فأجابه الرجل قائلاً : « والله لو كنت أوفر حكمة بما
أنت الآن لما اخترت أن تكون ملكاً . »

فسقط الملك حينئذ على الأرض وبكى بكاءً مرّاً .

أما الرجل العاري فكان ينظر اليه بشفقة وحنان ، آسفاً
على جهله وغروره . ثم تناول تاج الملك المتدحرج على الأرض ،
ووضعه بلطف على رأسه المنحني ، وعاد فدخل في المرأة كما
خرج وهو ينظر إلى الملك برقة وحسرة .

أما الملك فنهض بغتة الى المرأة ، وتأملها جيداً ، فلم ير
هنالك أحداً إلاّه وتاجه على رأسه .

الحرب والأمم الصغيرة

كان في أحد المروج نعجة وحمل "يرعيان" ، وكان فوقها في الجو نسر "يحوم ناظراً الى الحمل بعين جائعة ينبغي اقتراضه . وبينما هو يهيم بالهبوط لاقتناص فريسته ، جاء نسر آخر ، وبدأ يرفرف فوق النعجة وصغيرها وفي أعماقه جشع زميله . فتلاقيا وتقاتلا حتى ملأ صراخها الوحشي أطراف الفضاء . فرفعت النعجة نظرها اليها منذهلة ، والتفتت الى حملها وقالت له : « تأمل يا ولدي ، ما أغرب قتال هذين الطائرين الكريمين ! أو ليس من العار عليها أن يتقاتلا ، وهذا الجو الواسع كافٍ ل كليهما ليعيشا متسالمين ؟ ولكن صل يا صغيري ، صل في قلبك الى الله ، لكي يرسل سلاماً الى أخويك المجهنمين » .

فصلى الحمل من أعماق قلبه !

الناقدون

في عشية أحد الأيام ، كان المسافر راكباً حصانه وسائراً الى الساحل . فتوصل في طريقه الى فندق . فترجل وربط حصانه الى شجرة أمام الباب ، لانه كان واثقاً بالليل وبالناس شأن أقرانه المسافرين الى السواحل ، ثم دخل الى الفندق مع الداخلين .

وعند انتصاف الليل كان جميع من في الفندق نياماً . فجاء لص وسرق حصان المسافر فلم يدربه أحد .

وفي الصباح نهض المسافر من نومه ، وجاء على الفور الى حيث ربط حصانه فلم يجده . وبعد ان فتش عنه جيداً ، عرف ان لصاً سرقه في تلك الليلة ، فتأثر كثيراً على فقد حصانه ، ولكنه حزن بالاكثر على أن بين الناس من يُغريه الشر فيعمد الى السرقة .

وعندما عرف رفقائه المسافرين بما جرى له ، تجمعوا حوله ، وبدأوا ينحون عليه باللائمة معنفين إياه .

فقال له الأول : « ما أحملك أيها الرجل الماذا ربطت حصانك خارج الاصطبل ؟ »

ثم قال له الثاني : « انني أستغرب كيف أنك لم تحجل
(تقيّد) الحصان عندما ربطته ، فما أوفر جهلك ! »

فقال الثالث لرفيقه : « ان السفر الى البحر على ظهور
الخيل غباوة من أساسه . »

وقال الرابع : « أما أنا فأعتقد انه لا يقتني الخيل إلا كل
وليء بطيء الخطى . »

فدهش المسافر لبلاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والارشاد ،
بعد قوات الألوان . ثم قال لهم وهو يتميز غيظاً : « أيها
الأصحاب ، عندما سرق حصاني جاءكم الفصاحة عفواً ،
فأسرعت الواحد تلو الآخر تعددون هفواتي وزلاتي ؛ ولكن
يدهشني كيف أنكم ، مع ما أوليتم من قوة البيان ، لم يقل
أحد منكم كلمة عن سرق الحصان ! »

الشعراء

كان أربعة من الشعراء جالسين الى خوان ، وكانت على
الخوان اناء من الخمر .

فقال الشاعر الأول : « يَخِيلُ إليَّ اني أرى عير هذا
الخمر مرفرفاً في الفضاء ، كسحابة من الطيور في غياب
مسحور . »

فرفع الشاعر الثاني رأسه وقال : « أما أنا فإني أسمع بأذني
الباطنة ، هذه الطيور تغرد فتأخذ ألقانها بمجامع قلبي .
فتأسر الزنبقة النحلة بين وريقاتها . »

فأغمض الشاعر الثالث عينيه ورفع ذراعاه وقال : « أما
أنا فإني أكاد الامسها بيدي ، وأشعر بجفيف أجنحتها يهب في
وجهي كأنه هات جنية نائمة . »

فنهض الشاعر الرابع إذ ذاك ورفع الأناء بيديه وقال :
« عفوك أيها الاخوان ا فاني ضعيف البصر ، ثقل السمع ،
كليل اللمس . فليس في طائقي أن أرى عير هذه الخمرة ،
ولا ان أسمع غناءها ، ولا ان اشعر برفرقة أجنحتها ،

أواه ! انني لا أشعر بغير الحمرة ذاتها ، ولذلك يجب أن
أشربها لتوقظ حواسي الحاملة وتشعل روعي بنار بركاتكم
الملوية ووحىكم الطهور .

ثم وضع اناه الخمر على شفتيه واتى على آخر نقطة فيه .
أما الشمرء الثلاثة رفقاؤه ، فكانوا ينظرون اليه
بدهشة ، فاتحين اشدائهم ، وفي عيونهم غلة لا تروى لهبتها
وبغضة لا تخمد حديثها .



دوارة الريح

قالت دوارة الريح للريح : « قبحك الله ، ما أثقلك
وما أملتك ! أليس في وسعك أن تهبط في وجه غير وجهي ،
أم ، ألا تعلمين أنك بعملك هذا إنما تعمدين صفو ثباتي الذي
أعطانيه الله ؟ »

فلم تجب الريح بكلمة قسط ، ولكنها ضحكت في
الفضاء .

ملك أردوسة

مثّل شيوخ مدينة « أردوسة مرة في حضرة الملك ،
والتمسوا منه امراً يقضي بمنع المسكرات في مدينتهم .
فلم يجب الملك سؤالهم ، بل ولاهم ظهره وتركهم ومضى ،
ضاحكاً منهم في سره .

فانصرف الشيوخ من حضرته قانطين .

ولما بلغوا باب القصر رأوا وزير الملك . وكان هذا الوزير
داهية ، فلحظ اضطرابهم وعرف قصتهم .

فقال لهم : « أواه أيها الأصحاب ، فان الحظ لم يسعدكم ،
لأنكم لو أتيتم إلينا عندما يكون ملكنا سكران ، لكنتم
حصلتم في الحال على ما طلبتم !

طائر ايماني

من أعماق قلبي هبّ طائر ، وصعد مخلقاً في الفضاء ،
وكان كلما خلق في الجو ، أكثر فأكثر ، يزداد كبراً فكبراً .
فبدأ أولاً كالخطاف ، ثم صار كالقبرة ؛ فكالنسر ، الى أن
أصبح كسحابة الربيع اتساعاً ، فملاً السماوات المرصعة
بالنجوم .

من أعماق قلبي هبّ طائر وحلق في الفضاء ، وكان يزداد
حجمه كلما طار .

ومع ذلك فانه ظل ساكناً في أعماق قلبي .



فيا ايماني ، يا معرفتي الجامعة القديرة ،
كيف ابلغ الى سموك ، فأرى واياك ذات الإنسان الفضلى
المرسومة على أديم السماء ؟

كيف احول هذا البحر ، الذي في أعماق نفسي ، الى
ضباب كثيف ، وأهم واياك في فضاء اللانهاية ؟
أو هل يستطيع السجين في ظلمات الهيكل أن يرى قباب
الهيكل المذهبة ؟

أم هل للنواة أن تتمدد فتغلف الثمر كما كان يغلفها من
ذي قبل ؟

أجل . يا ايماني الحليم ! أجل ، فاني مقيد بالسلاسل
الحديدية ، في غيابات هذا السجن المحدود ، تفصلني عنك هذه
الحواجز المصنوعة من اللحم والعظم ، وليس لي ان أطير
معك الآن الى عالم اللاحدود .

بيد انك من قلبي تنبثق محلقاً في الفضاء الواسع ، وأنت
لا تزال قاطناً في أعماق قلبي الوجيع ، وإني بذلك لراض
مستسلم قنوع .

الخلافات

حدث عندما كانت ملكة « عيشانا » في فراش نخاضها ،
والملك وعيون بلاطه يترقبون نجاتها من آلامها الشديدة ، وهم
جالسون على أحر من الجمر في قاعة الثيران المجنحة ^(١) أنه
دخل عليهم فجأة رسول مستعجل ، وركع عند قدمي الملك
وقال : « أيها الملك المعظم ، انني أحمل اليكم بشائر الفرح ،
وللملكة ، ولأمبيد الملك أجمعين ؛ وذلك ان محراب « الجائر »
عدوك اللدود ، ملك « البترون » ، قد قضى نحبه . »

فلما سمع الملك وكبار رجال دولته هذه البشري نهضوا
منتصبين على اقدامهم ، وهللوا فرحين . لانه لو طال أجل
محراب الجبار سنة واحدة ، لغزا أرض « عيشانا » وقاد
سكانها عبيداً الى بلاده .

وفي تلك اللحظة دخل طبيب البلاط الى قاعة الثيران
المجنحة ، ودخلت وراءه قافلة الملكة . فسانحني الطبيب
احتراماً للملك وقال له : « ليعش سيدي الملك الى الابد ،
فها قد رزقك الله طفلاً ذكراً ، سيخلفك على العرش ، ويخلد
حكمتك على شعوب عيشانا عديد السنين ! »

فتهلل الملك ؛ وطارت روحه فرحاً ، لانه في اللحظة
الواحدة ، هلك عدوه ، وتأصلت الخلافة في نسله .

وكان في مدينة « عيشانا » في ذلك العهد نبي حق ،
ولكنه كان فقير جريء القلب باسل الروح .

فأمر الملك أن يحضر النبي بين يديه في تلك الليلة ،
فأحضر في الحال .

فقال له الملك : « تنبأ أيها النبي ، وقل لنا كيف
سيكون مستقبل ابني الذي ولد الآن للمملكة . »

فأجابه النبي على الفور قائلاً : « اسخ أيها الملك فأنبتك
الصدق عن مستقبل ابنك الذي ولد لك اليوم : فان روح
عدوك ... عدوك اللدود الملك محراب . الذي مات في مساء
الامس ، لم تلبث على متن الارياح سوى ليلة واحدة . وقد
هبطت الى الارض ثانية تطلب جسداً تأوي اليه ، فلم تَرَ
أفضل من جسد ابنك هذا الذي ولد لك اليوم ، فتقصصته . »

فاستشاط الملك غيظاً ، واستلّ سيفه ، وقطع رأس
النبي بيده والزبد يخرج من فمه غضباً .

وها قد مرت الايام ، وتصرمت حبال السنين على تلك
الحادثة وحكاماء « عيشانا » يسرون واحدهم للآخر قائلين :
« أما قيل لنا في القدم ، وأثبتت الأيام ذلك المقول ، ان
« عيشانا » يحكمها عدوها ؟ »

المعرفة ونصف المعرفة

جلس أربع ضفادع على قرمة حطب عائمة على حافة نهر كبير . فجاءت موجة هوجاء واختطفت القرمة الى وسط النهر ، فحملتها المياه وسارت بها ببطء مع مجرى النهر . فرقص الضفادع فرحاً بهذه السباحة اللطيفة فوق المياه ، لانه لم يسبق لهن أن أبجرن بعيداً من ذي قبل .

وبعد هنيهة صرخت الضفدعة الأولى قائلة : « يا لها من قرمة عجيبة غريبة ؟ تأملن أيتها الرفيقات كيف تسير مثل سائر الاحياء . ، والله انني لم اسمع قط بمثلها ! »

فأجابتها الضفدعة الثانية وقالت : « ان هذه القرمة لا تشي ، ولا تتحرك ايتها الصديقة ، وهي ليست عجيبة غريبة كما توهمت . ولكن مياه النهر ، المنحدرة بطبيعتها الى البحر ، تحمل هذه القرمة معها ، وتحملنا نحن أيضاً بانحدارها . »

فقالت الضفدعة الثالثة : « لا لعمرى فقد أخطأتما أيتها الرفيقتان في خيالكما الغريب ، فان القرمة لا تتحرك ، والنهر أيضاً لا يتحرك ، وانما الحقيقة ان فكرنا هو المتحرك فينا ،

وهو الذي يقودنا الى الاعتقاد بحركة الاجسام الجامدة . «
وتناظر الضفادع الثلاث في ما هو المتحرك بالحقيقة .
وحمي وطيس الجدال ، وعلا الصراخ بينهما ولم يتفقا على
رأي واحد .

ثم التفقا الى الضفدعة الرابعة ، التي كانت الى تلك الساعة
هادئة صامتة تصغي اليهن بانتباه واستيعاب ، وسألنها رأيها
في الموضوع .

فقالت لهن : كلكن محقات أيتها الرفيقات ، ولا واحدة
منكن على ضلال ! فان الحركة كائنة في القرمة ، وفي النهر
وفي فكرنا في وقت واحد . «

فلم يرق لهن ذلك الكلام ، لأن كل واحدة منهن كانت
تعتقد انها وحدها المصيبة ، وان رفيقاتها لفي ضلال مبين .
وما أغرب ما حدث بعد ذلك : — فان الضفادع الثلاث
تسألن بعد البداء وتجمعن فرمين بالضفدعة الرابعة من على
القرمة الى النهر .

الصحيفة البيضاء

قالت صحيفة ورق بيضاء كالثلج : « قد بُرئت نقية
طاهرة وسأظل نقية الى الابد . وانني لأوثر ان أحرق ،
وانتحوال الى رماد أبيض ، من أن آذن للظلمة فتدنوني ،
والأقذار فتلامسني . »

فسمعت قنينة الحبر قوفا وضحكت في قلبها الفاتم المظلم ،
ولكنها خافت ، ولم تدن منها .

وسمعتها الاقلام أيضا تنلى اختلاف الوانها ولم يقربوها
قند .

وهكذا ظلت صحيفة الورق البيضاء كالثلج -- نقية
طاهرة -- ولكن . . . فارغة .

العالم والشاعر

قالت الحية للحسون : « ما أجمل طيرانك أيها الحسون
ولكن حبذا لو انك تستطيع أن تنسل الى ثقوب الأرض
وأوكارها ، حيث تختلج عصارة الحياة في هدوء وسكون . »
فأجابها الحسون وقال : « أي وربي . انك واسعة المعرفة
بعيدتها ، بل أنت أحكم جميع المخلوقات . ولكن ، حبذا لو
انك تطيرين . »

فقالت الحية كأنها لم تسمع شيئاً : « مسكين أنت أيها
الحسون ، فانك لا تستطيع أن تبصر أسرار العمق مثلي ولا
تقدر أن تتخطر في خزائن الممالك الخفية ، فتدري أسرارها
ومحتوياتها . أما أنا فلا أبعد بك ، فقد كنت في الأمس متكئة
في كهف من الياقوت الأحمر . أشبه بقلب رمانة ناضجة ،
وأضال الأشعة تحوّلها الى وردة من نور . فمن أعطي سواي
في هذا العالم أن يرى مثل هذه الغرائب ؟ »

فقال لها الحسون : « بالصواب قد حكمت أيتها
الحكيمة ، فلا أحد إلاك يستطيع أن يفترش ما تبلور من
تذكريات العصور ، وآثار الدهور . ولكن وأسفاه فانك لا
تغردين . »

فقلت الحية : « انني أعرف نباتاً تمتد جذوره الى أحشاء الأرض . وكل من يأكل من تلك الجذور يصير أجمل من عثروت » .

فأجابها الحسون قائلاً : « لا أحد ، لا أحد إلاك قد اهتدى الى حسر القناع عن فكر الأرض السحري . ولكن وأسفاه ، فانك لا تطيرين . »

فقلت الحية : « وأعرف جدولاً أرجوانياً يجري تحت جبل عظيم . وكل من يشرب من هذا الجدول يصير خالداً خلود الالهة . وليس بين الطير أو الحيوان من اهتدى الى ذلك الجدول سواي . »

فأجاب الحسون وقال : « بلى والله ، فان في منالك أن تكوني خالدة مثل الالهة لو شئت . ولكن وأسفاه ! فانك لا تغردين . »

فقلت الحية : « واعرف هيكلاً مطموراً تحت تراب الأرض ، لم يهتد اليه باحث أو منقب بعد ، أزوره مرة في الشهر ، وهو من بناء جبابرة الأزمنة الغابرة . وقد نقشت على جدرانها أسرار جميع الأزمنة والأمكنة ، وكل من يقرأها ويفهمها يوازي الالهة في العقل والمعرفة . »

فأجابها الحسون قائلاً : « بلى ، ايتها الحكيمة العزيزة . فانك لو شئت ، لاستطعت أن تكتنفي بلين جسدك جميع معارف الاجيال . ولكنك وأسفاه لا تقدرين أن تطيري . »

فاشمازت الحية إذ ذاك من حديثه ، وارتدت عنه الى
وكرها ، وهي تبربر في ذاتها قائلة : « قبحه الله من غريد
فارغ الرأس ! »

أما الحسون فطار وهو يغني بأعلى صوته قائلا :
« وا أسفاه ، انك لا تغردين ! وا أسفاه ! وا أسفاه
يا حكيمي ! فانك لا تطيرين . »

الاثمان

كان رجل يحفر في حقله وفيما هو يحفر عثر على تمثال بديع من المرمر الجميل . فأخذه ومضى به الى رجل كان شديد الولع بالآثار والمعاديات وعرضه عليه . فاشتراه منه بأبهظ الأثمان . ومضى كل منهما في سبيله .

وبينا كان البائع راجعاً إلى بيته أخذ يفكر في ذاته قائلاً : « ما أكثر ما في هذا المال من القوة والحياة ! انه بالحقيقة ليدهشني كيف ان رجلاً عاقلاً ينفق مالاً هذا مقداره ، لقاء صخر أصم فاقد الحركة ، كان مدفوناً في الأرض منذ ألف سنة ولم يحلم به أحد ؟ »

وفي الساعة عينها ، كان المشتري يتأمل في التمثال مفكراً وقائلاً في ذاته : « تبارك ما فيك من الجمال ! تبارك ما فيك من : الحياة ! حلم أية نفس علوية أنت ؟ هذه بالحقيقة نضارة أعطيتها من نوم ألف سنة في سكنة الأرض ! انني والله لا افهم كيف يمكن للانسان أن يبيع مثل هذه الطرفة النادرة بمال جامد زائل ؟ »

البحار الأخرى

قالت سمكة لأختها : « يوجد فوق بحرنا هذا بحر آخر ،
وفيه مخلوقات متنوعة تعيش وتسبح هنالك كما نعيش نحن
هنا ونسبح . »

فأجابتها أختها وقالت : « تلك أوهام ! تلك أوهام !
ألا تعلمين أيتها العزيزة ان كل مخلوق يترك بحرنا قيد قيروط
واحد ، ويبقى خارجاً عنه ، يموت في الحال ؟ اذن ، فما هي
حجتك على وجود أحياء أخرى في بحار أخرى ؟ »

التوبة

دخل رجل في ليلة ظلماء الى حديقة جاره ، فسرق اكبر
بطيخة وصلت اليها يده وحملها وجاء بها الى بيته .
وعندما كسرهما وجد انها عجراء لم تبلغ بعد نموها .
فتحرك ضميره في داخله اذ ذاك ، وأوسعه تأنيباً .
فقدم على انه سرق البطيخة ...

المحتضر والشوكة

مهلاً ولا تلجى يا أختاه ، مهلاً
فمما قريب أترك لك هذه البقية التلفة ،
فانها تستفرغ صبرك بطول نزاعها .
اننى أضن بجوعك أن يترقب تصرف هذه الهنيئات :
لأن هذه القيود ، وان كانت من اللهاث ، فان كسرهما
لمسير . ان رغبتى في الموت وهي أبعد رغائى ، مقيدة
بسلاسل رغبتى في الحياة ، وهي أدنى رغائى .
عفوك أيتها الرفيقة ، فانى متاهل بطي .
هي الذكرى تمسك بروحى فتعيد اليها تذكارات مضت ،
فتريها مواكب الأيام الذاهبة ،
ومرأى شباب غابر قضيته في حلم ،
وتشخص أمامى رجها يأمر اجفاني بالآ تغمض ،
وتعيد الى مسمعى صوتاً لا يزال صدهاء متردداً في
أذنى ،
ويدأ تلامس يدي ولا أراها .



عفوك أيتها الرفيقة فقد طال انتظارك .

ولكن ها قد دنت الساعة ، وكل شيء عابر زائل :
الوجه والعيون واليد ، والضباب الذي جاء بها .
ها قد حلت العقدة ،

قد تقطع الجبل ،
وذلك الذي ليس بالطعام ولا بالشراب قد تنحى
وراح .

تقدمي يا رفيقتي الجائعة ، تقدمي فقد أعدت المائدة ،
والطعام حقير يسير ولكنه يُقدم بحبة .
هلمي واغرزي منقارك في جني الأيسر ،
واخرجي من بين قضبان قفصه هذا الطائر الأصفر ، الذي
لن يُرفرف جناحاه فيما بعد ،

بربك خذيه وحلفي به في رحاب الفضاء .
هلمي ، هلمي إليّ يا صديقتي ،
فأنا مضيفك الليلة ، وأنت ضيفي العزيز ، فأهلا ومرحبا .

وراء وحدتي

انّ وراء وحدتي وحدة أبعد وأقصى ،
وما انفرادي للمعتزل فيها سوى ساحة تفصّ بالمزدهجين ،
وما سكوني للساكنين فيها سوى جلبّة وضجيج .
انني حدثٌ مضطربٌ هائمٌ بعدُ ، فكيف أبلغ الى تلك
الوحدة القاصية ؟

ان ألحان ذلك الوادي تتموج في أذني ،
وأظلاله السوداء تحجبُ الطريق عن عيني ،
فكيف أسير الى تلك الوحدة العلوية ؟
— إن وراء هذه الأودية والتلال غابة حبّ وافقتان ،
وما سكوني لمن فيها سوى عاصفة هوجاء صماء ،
وما افتتاني لعاشقيها سوى انخداع وغرور .
انني حدثٌ مضطربٌ هائمٌ بعدُ ، فكيف أبلغ تلك
الغابة القدسية ؟

فإن طعم الدماء لا يزال في فمي ،
وقوس أبي ونشابه ما برحا في يدي ،

فكيف أسير إلى تلك الوحدة العلوية ؟

— ان لي وراء هذه الذات السجينة ذاتاً حرة طليقة ،

وما اجلّامي في عقيدتها سوى حرب في ظلام ،

وما رغائبي تجاه رغائبها سوى قرقرة عظام ،

انني حدث "مهان" ذليل بعد ،

فكيف أكون ذاتي الحرة الطليقة ؟

أجل ، كيف أكون ذاتي الحرة الطليقة —

قبل أن أثار لنفسي فأذبح جميع ذواتي المستعبدة ؛

أو قبل أن يصير جميع الناس أحراراً طلقاء ؟

إذ ، كيف تطير أوراقى مترنمة فوق الريح —

قبل أن تذوي جذوري في ظلام الأرض ؟

بل ، كيف يخلق نسر روحي طائراً أمام وجه الشمس —

قبل أن تترك فراخي عشها الذي بنيت لها بعرق

وجهي ؟

اليقظة الاخيرة

في غلس الليل العميق ، وقد هبّ النسيم ممطّراً بانفاس
الفجر الأولى ، نهض « السابق » - وهو صدى الصوت الذي
لم تسمع به اذنٌ بعد - فترك مقصورته وصعد الى سطح بيته .
وبعد ان وقف هنالك طويلاً ينظر الى المدينة الهاجمة في
سكينة الليل ، رفع رأسه ، وكأنما قد تجملت حوالبه أرواح
أولئك النائمين المستيقظة ، فتح فاه وخاطبهم قائلاً :

« يا اخوتي وجيراني ، ويا ايها المارثون ببابي في كل يوم .
انني أودُّ أن أناجيكم في نومكم ، وفي وادي احلامكم ، أودُّ أن
أمشي مطلقاً عارياً ، فإن ساعات يقظتكم أشد غفلة من نومكم ،
وأذانكم المثقلة بالضجيج كليلة صماء .

« لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير .

« قد أحببت الواحد منكم كما لو كان كلتكم ،

« وأحببتكم جميعاً كما لو كنتم واحداً .

« ففي ربيع قلبي كنت أترنم في جنانكم ،

« وفي صيف قلبي كنت أحرس ببادركم .

« أجل » ، قد أحببتكم جميعكم ، جباركم وصعلوكم ،

أبرصكم وصبيحكم ، وأحببت من يتلمس منكم سبيله في الظلام ،
كمن يرقص أيامه على الجبال والآكام .

أحببتك أيها القوي ، مع ان آثار حوافرك الحديدية
لا تزال ظاهرة في لحمي ،

« وأحببتك أيها الضعيف على رغم انك جففت إيماني ،
وعطلت علي صبري ،

« أحببتك أيها الغني ، في حين ان عسلك كان علقما في
فمي ؛ وأحببتك أيها الفقير مع انك عرفت عاري وفراغ
ذات يدي .

« أحببتك أيها الشاعر المقلد ، الذي يستمير قيثارة
جاره ليضرب عليها بأصابعه العمياء ، أحببتك كرماء ولطفاء ،
وأحببتك أيها العالم الدائب عمره في جمع الاكفان الرثة من
حقل الخزاف المقوت .

أحببتك أيها الكاهن ، الجالس في سكون امسه متسائلا
عن مصير غدي ،

وأحببتك أيها العابد الذي يتخذ له من اشباح رغائبه إلهة
يعبدها .

« أحببتك أيتها المرأة ، المتعطشة وكأسها مملوءة ابداً ،
لأنني عرفت سرّك . »

وأحببتك أيتها المرأة ، الساهرة ليلاتها ، مشفقاً عليك .

« أحببتك أيها الثرثار قائلا في نفسي : « انّ للحياة كثيرا فتقوله . »

وأحببتك أيها الأبكم ، قائلا في سري : « حبذا لو أسمع نطقاً يعبر عما في صمته . »

أحببتك أيها القاضي والناقد ، ولكنكما عندما رأيتاني مصلوباً قلتما : « ما الطف نرف دماثه من عروقه ، وما أجمل الخطوط التي ترسمها في مسيلها على جلده الناصع . »

« أجل . أحببتكم جميعكم ، فتاكم وشيخكم ،

وأحببت قصبتكم المرتجفة كسندياتكم الجبارة الراسخة .

ولكن وأسفاه ، فان قلبي الطسافح بحبكم قد حوّل قلوبكم عني ،

لأن في وسعكم أن ترتشفوا خمرة المحبة من القدح الصغير ، ولكنكم لا تقوون على شربها من النهر الفياض . »

« انكم تستطيعون ان تسمعوا صوت المحبة عندما تهس في آذانكم .

ولكنكم تصمون آذانكم عندما تصيح المحبة مهلة بأعلى صوتها .

وعندما رأيتم انني قد أحببتكم جميعكم بالسوية ، تهكمتم قائلين : ما أسهل انقياد قلبه ، وما أبعد الفطنة عن مسالكه ! ان محبته هذه محبة متسول جائع ، قد تعود التقاط

الفتات ، ولو كان جالساً الى موائد الملوك ، بل هي محبة
ضعيف حقير ، لأن القوي لا يحب إلا الأقوياء .

« وعندما رأيتم انني أحببتكم حباً مفرطاً قلتم : « ان
محبة هذه محبة أعشى ، لا يميز بين جمال الواحد وبشاعة الآخر
بل هي محبة عديم الذوق ، الذي يشرب الخـل كأنه يشرب
التمر . بل انما هي محبة فضولي مدّع ، إذ أي غريب يستطيع
أن يحبنا كأبنينا وأمننا وأختنا وأخينا ؟ »

هذه أقوالكم وغيرها كثير . لانكم طالما أشرتم الى
بأصابعكم في شوارع المدينة وساحاتها وقلتم بعضكم لبعض
ساخرين :

« بربكم انظروا الصغير الكبير ، الذي لا يعبا بالفصول
والسنين ، فهو عند الظهيرة يلعب أولادنا ، وعند المساء
يخالس شيوخنا ، مدعياً الحكمة والفهم . »

أما أنا فكنت أقول في قلبي : « لا بأس في ذلك فاني
سأحبهم أكثر ، نعم أكثر فأكثر . ولكني سوف أسدل على
محبي ستاراً من البغض ، واستر عطفسي بشديد كرهى .
وسأترقع بترقع من حديد ، ولا أسمى وراءهم إلا مسلحاً
مدرعاً . »

« وبعد ذلك القيت يداً ثقيلة على رضوضكم وجراحكم
وكما تعصف العاصفة في الليل رعدت في آذانكم . »

« ومن على السطوح قد أذعتكم للملأ فرئيسين ، مرائين .
خداعين ، وفقاقيع أرض كاذبة فارغة . »

« قد لعنت قاصري النظر فيكم كما تلعن الحفافيش
الممياء ، »

« وشبهت المتصقين بالأرض والأدنياء منكم بالمساجد
(جمع خلد) المادمة النفوس . »

« أما الفصحاء والبلغاء بينكم فدعوتهم متشبي الألسنة
ودعوت الصامت الساكن فيكم متعجّر القلب والشفقين ،
وقلت في البسيط الساذج : « ان الأموات لا يملتون الموت . »
« قد حكمت على الساعين وراء المعرفة البشرية منكم
ومن أبنائكم كمجدّفين على الروح القدس . »

« وحكمت أيضاً على المأخوذين والمهذوبين بحب الأرواح
وما وراء الطبيعة كمصطادي اشباح ، يرمون شباكم في
مياه راكدة ، ولا يصطادون سوى أظلالهم البليدة . »

« كذا شهرتكم بشفي ، ولكن قلبي ، والدماء تنزف منه
فكان يدعوكم بأرق الأسماء وأحلاما . »

« أجل ، ايها الاصحاب والجيران ، فان المحبة قد
خاطبتكم مسوقة بسياط ذاتها ، »

والكبرياء قد رقصت أمامكم متمفرة بغبار خيبتها
مذبوحة بالأمها ؛

وطمع شبي لمحببتكم قد ثار ثأثره على السطوح ؛ «
 . « ولكن محبتي كانت تسألكم ضفحاً وهي راکعة صامتة »
 ولكن اليكم المعجزة يا قوم !
 « ان تستري قد فتح عيونكم ، وبفضي قد أيقظ قلوبكم »
 والآن فأنتم تحبونني !
 « انكم لا تحبون سوى السيوف التي تطمئن قلوبكم ،
 والسهام التي تخرق صدوركم ؛
 « لأنكم لا تتعززون إلا بجراحكم ، ولا تسكرون إلا
 بخمرة دمائكم . »
 وكما يتجمع الفراش حول اللبيب ، ساعياً وراء حشفه ،
 تجتمعون انتم في كل يوم الى حديقتي ، وبوجوه مرتفعة ،
 وعيون شاحصة ، تراقبونني وأنا أمزق نسيج أيامكم ،
 ففتها مسوا فيما بينكم قائلين :
 « انه يبصر بنور الله ، ويتكلم كأنبياء المتقدمين ، فيحسر
 القناع عن نفوسنا ، ويحطم أقفال قلوبنا ، وكما يعرف النسر
 مسالك الثعالب ، يعرف هو أيضاً طرقنا ومسالكنا .
 « بلى ، فاني بالحقيقة أعرف طرقكم ، ولكن كما يعرف
 النسر طرق فراخه . وإنني بمسرة قلب ، قد كشفت لكم
 سري . ولكنني لحاجة بي الى قريبكم ، أظهار بالجفاء ،
 وخوفاً مني على دنوقضاء محبتكم ، أقوم على حراسة سدود
 محبتي . »

وبعد أن فرغ السابق من كلامه ، غطى وجهه بيديه
وبكى بكاء مرأ ، لانه أدرك في قلبه ، ان المحبة المهتقرة في
عريها ، لأعظم من المحبة التي تشد الظفر في تسترهما وتنكرها
وتخجل اذ ذاك من ذاته .

ثم رفع رأسه بفتة ، وكأنه أفاق من نوم عميق بسط
ذراعيه وقال : « ها قد ولّى الليل ، ونحن أولاد الليل ،
يجب ان نموت عندما يأتي الفجر متوكئاً على التلال ، وستبعث
من رمادنا محبة أقوى من محبتنا ، - وستضحك في نور الشمس
وستكون خالدة . »

فهرست

الصفحة	الصفحة	الصفحة
٦٠	الشعراء	٣
٦٢	دوارة الريح	٣٥
٦٣	ملك أردوسة	٣٧
٦٤	طائر ايماني	٣٩
٦٦	الخلاقات	٤٣
٦٩	المعرفة ونصف المعرفة	٤٤
٧١	الصحيفة البيضاء	٤٨
٧٢	العالم والشاعر	٥١
٧٥	الأثبان	٥٢
٧٦	البهار الأخرى	٥٤
٧٦	التوبة	٥٥
٧٧	المحتضر والشوكة	٥٧
٧٩	وراء وحدتي	٥٨
٨١	البقطة الأخيرة	
		٢
		السابق
		أنت سابق نفسك
		البهلول
		الهبة
		الملك الناسك
		بنت الأسد
		الظلم مرقعه وخيم
		القديس
		الطمع
		الذات العظمى
		الحرب والأمم الصغيرة
		الناقدون

